

الْبَيْتَاتُ الْقَائِمُن

الطوارق

تعريف الطوارق ، وهم المسوفة ينتسبون إلى صنهاجه . وصنهاجه يرفعون أنسابهم إلى حمير ، كما في كتاب الحلل الموشيه^(١) ، في ذكر أخبار المراكشية . ونصه : هؤلاء لمتون^(٢) ينتمون إلى لمتونه ، وهم من أولاد لمت ، ولمت وجد ، ولمت ومسطوف يُنسبون إلى صنهاجه^(٣) . فلُمت جد لمتونه ، وجدال جد جدالة . ولمت جد لمطة ، ومسطوف جد مسوفة .

وهم ظواعن في الصحراء ، رُحَل لا يطمئن بهم منزل . ليس لهم مدينة يأوون إليها ، ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين ، ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام . وهم على دين الإسلام واتباع السنة . وهم يجاهدون السودان وصنهاجه ، يرفعون نسبهم إلى حمير ، وليس بينهم وبين البربر نسب إلا الرحم وأنهم خرجوا من اليمن ، وارتحلوا إلى الصحراء وطنهم بالمغرب .

وسببه أن أحد الملوك التبابعة ، لم يكن فيمن تقدّم من ملوك قومه مثله ، ولم يبلغ أحد منهم من فضله وعزة مُلكه ، وبعُد غوره ونكاية عدوه ، وقهره للعرب والعجم مبلغه ، فأنسى جميع الأمم مَن كان قبله .

وكان قد أخبره بعض الأخبار بحوادث الأيام وبالكتب المنزلة من الله على رسوله عليه السلام ، وأن الله عزّ وجلّ يبعث رسولا هو خاتم الأنبياء ، ويرسله إلى جميع الأمم ، فآمن به وصدّق بما يأتي به . قال فيه في أبيات من الشعر ، فقال :

رَسُؤْلُ اللَّهِ بَرَى النَّسَمِ

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ

لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَإِبْنَ عَمِّ

فَلَوْ مَدَّ عُمُرِي إِلَى عُمُرِهِ

(١) يُنسب هذا الكتاب لمؤلف مجهول ، وعنوانه (الحلل الموشيه في ذكر الأخبار والآثار المراكشية) .

(٢) لمتونة : إحدى قبائل البربر .

(٣) صنهاجه : قبيلة بربرية ، من قبائل البربر البتر .

في أبيات كثيرة قصتها مشهورة ، وسار إلى اليمن ودعا ، أهل مملكته إلى ما آمن به ، فلم يجبه إلى ذلك إلا طائفة من قومه حمير ، ولما مات غلب أهل الكفر أهل الإيوان ، فكان كل من آمن به مع تُبّع بين قتيل وطريد ، ومطلوب وشريد .

فعند ذلك تلتّموا الفعل نسائهم في ذلك الزمان وفرّوا بأنفسهم ، وتفرّقوا في الأقطار أيادي سبأ ، فكان خروج سلف المتلثمين^(١) عن اليمن ما ذكر وكانوا أول من تلتّم ، ثم انتقلوا من قطر إلى قطر ، ومن مكان إلى مكان بانتقال الأيام والأزمان ، حتى صاروا بالمغرب الأقصى بلاد البرابر ، فاحتلوا بها واستوطنوا ، وصار اللثام زيّهم الذي أكرمهم الله به ونجّاهم لأجله من عدوهم فاستحسنوه ولازموه وصار زياً لهم ولاعقاً بهم لا يفارقونه إلى هذا العهد ، فتبرّرت ألسنتهم بمجاورتهم البرابر ، وكونهم معهم ومصاهرتهم إياهم .

والأمير أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن تورقيت اللمتوني^(٢) الذي خطّ مدينة حمراء مراكش ، هو الذي أخرجهم من المغرب إلى الصحراء لما غارت جدالة على لمتونة ، واستخلف حينئذ ابن عمه يوسف بن تاشفين ، على المغرب ، انتهى منه باختصار .



(١) المتلثمين : اسم يُطلق على قبائل الطوارق ، لأن الرجال يلثمون وجوههم بلثام أشبه بالنقاب ، لأنهم يعتبرون الفم بمثابة عورة يجب تغطيتها . انظر ابن حوقل : صورة الأرض دار الكتاب الإسلامي ، بدون . ص ٩٩ .

(٢) أبو بكر عمر : خليفة عبد الله بن يس ، استطاع إسقاط امبراطورية غانة الوثنية ، ويُعتبر من مؤسسي دولة المرابطين . انظر ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون . ج ٦ ص ١٨٣ ، ١٨٤ .